بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:18/01/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((سنن الله مع النصر))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى نحن ذاهبون أيها الإخوة، عما قريب سيمضي كل منا إلى منزله الأخير إلى منزل لن يتحول عنه وغداً لا يوجد إلا الحسنات والسيئات...

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

وإن ربنا جل جلاله أمرنا بطاعته ووعد من أطاعه منا الجنة، وهو جل جلاله نهانا عن معصيته وأوعد من عصاه منا النار فقدموا لأنفسكم.. فإنكم اليوم في دار عمل لا حساب فيه وغداً ماضون إلى دار حساب لا عمل فيها...ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)﴾ [آل عمران]

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)﴾ [فاطر]

نحن في الخطبة الرابعة من سلسلة ((**السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن**))...تحدثنا لماذا هذه السلسلة؟ وتحدثنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات...

واليوم خطبة جديدة عن السنن الإلهية، لكني قبل أن أعرض عليكم عنوان الخطبة ومادتها سأقرأ عليكم هذه الرسالة وهذا الخبر لأنتقل معكم إلى عنوان الخطبة ومادة الخطبة...

أما الرسالة:

جاء في كتاب -**العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى**- للمؤرخ الإنكليزي السير يون دوبانت نوت جاءت الرسالة التالية:

من جورج الثاني ملك إنكلترا والسويد والنروج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام: بعد التعظيم والتوقير نفيدكم أننا سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة، وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وقد زودت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص...الإمضاء: من خادمكم المطيع جورج الثاني..

جواب الخليفة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين وبعد: إلى ملك إنكلترا واسكندنافيا المجل: اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نعلمكم أنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي، أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور بالغ وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتتنا ومحبتنا...الإمضاء: خليفة رسول الله في ديار الأندلس هشام الثالث.

أيها الإخوة هكذا كنا متى نعود!!؟

أما الخبر فهو:

ارتفع عدد الشهداء الفلسطينين ليصل إلى ثلاثين شهيد خلال الأيام الثلاثة الماضية من جراء الغارات الإسرائيلية الإجرامية على قطاع غزة، وقد ذكرت ال bbc أن متحدثاً باسم بانكي مون يذكر متحدث باسمه لم يتكلف أن يتحدث هو!!! يذكر بأن الأمين العام للأمم المتحدة منزعج، افرحوا انزعج!!!!بأن الأمين العام للأمم المتحدة منزعج من الأحداث بغزة...

أيها الإخوة هكذا صرنا متى نعود!!!

عنوان خطبة اليوم: **((السنن الإلهية في النصر...))**

لابد أن نقرأ القرآن، لا مفر من أن نستخلص قوانين الله من القرآن الكريم، لا يوجد حل جربنا كل الحلول، وسقطت كل الأوراق، وقديماً عندنا تجربة ناجحة قوم التفتوا إلى القرآن فالتفت القرآن لهم وانتصروا..كانوا أضعف منا، وأجهل منا، وأكثر فرقة منا، وأقل مناصب علمية منا، ورفعوا حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس...لقد قرؤوا القرآن، فهموا قوانين القرآن، طبقوا ماذا يريد الله في القرآن...عنوان خطبة اليوم: السنن الإلهية في النصر...

أيها الإخوة في القرآن الكريم سورة اسمها سورة: النصر...وسورة أخرى اسمها: سورة الفتح...وسورة ثالثة اسمها سورة: الأنفال، والأنفال: هي الغنائم التي يجنيها المسلمون من معاركهم التي ينتصرون بها...ولم أجد في القرآن الكريم سورة الهزائم...ولا سورة: خسارة الأرض والأوطان...ولا سورة: دخول العدو في قلب البلد...

وفي القرآن الكريم جاءت كلمة –نصر- مع ما يتصل بها من أحرف مائة وواحد وأربعين مرة...

بينما جاءت كلمة –غلب- مع ما يتصل بها تسعة وعشرين مرة...

وإني قرأت في هذه الآيات السنن الإلهية التالية الأربعة في النصر:

القانون الأول: النصر ابتداء وانتهاء من الله عز وجل.

مثله مثل الرزق ومثل الأجل...قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ . . .وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) ﴾ [الأنفال]

وأعادها جل جلاله في سورة آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) ﴾ [آل عمران]

وقال جل جلاله في سورة الروم: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) ﴾ [الروم]

وترون أن خواتيم الآيات الثلاث العزيز الحكيم...

العزيز: هو الذي لا يدرك، إذا جاءك النصر من الله فإن الله لا يدركه أحد...والحكيم: هو الذي يضع الأمور في مواضعها...ينصر عندما يستحق الناس النصر، ويخذل عندما يمشون في طريق الخذلان...

ويقول أهل اللغة: إن أداة الاستثناء –إلا- إذا سبقت بأداة نفي صارت تفيد الحصر، والآيتان تقولان: ﴿ ooمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ oo (126) ﴾ [آل عمران] يعني تصير أداة حصر، يعني: أن النصر حصراً من عند الله تعالى.

مهما شرقنا ومهما غربنا...مهما تحالفت مع الأقوياء، ومهما تآلفت مع الضعفاء...مهما امتلك المسلمون من الثروات الباطنية، ومهما اشتروا من أسلحة جرثومية وكيماوية ونووية، ومهما حملوا من الشهادات العلمية..إذا لم يضعوا أيديهم بيد الله تعالى فإن النصر بعيد...

لأن مالك النصر وخالق النصر ومنزل النصر هو الله...وقديماً نظر المسلمون في أمر الله فنظر الله في أمرهم.

ففي معركة بدر كان عدد المشركين ألف وثلاثمائة في بداية المعركة، كان معهم مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها، كان القائد العام أبو جهل وكان القائمون بتمويل هذا الجيش تسعة رجال من أشراف قريش ينحرون يوما تسعاً ويوما عشراً من الإبل.

الآن إلى المسلمين، عدد المسلمين يومها ثلاثمائة وثلاثة عشر يعني الثلث، ليس معهم إلا فرسان والمشركون معهم مائة، كانوا يأكلون التمر في سفرهم وأولئك كانوا يأكلون الإبل نتحر لهم كل يوم وربما ذبحوا الشاة...ومع هذا...

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ . . ﴾ [آل عمران:123]

وقال ربنا: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) ﴾ [البقرة]

وقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)﴾ [آل عمران]

القاعدة الأولى: النصر ابتداء وانتهاء بيد الله عز وجل.

القانون الثاني: حين يقدر الله النصر لن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وكذلك إذا قدر الله لنا الهزيمة فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه...

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)﴾[آل عمران]

القانون الثالث: إن الله تعالى ينصر من ينصر دينه ويستجيب لأمره ويستقيم على نهجه....

أما من لا يفعل ذلك، أما من يريد أن يتبع أهواءه، أما من يريد أن يربي أبناءه وفق التربية الغربية أو التربية الشرقية...أما من يستورد لنا أخلاق الغرب...أما من يريد من المسلمين أن يمشوا في ركاب أولئك القوم الذين يدعونهم المتقدمين...فإنه جل جلاله يتركه لقدرته وطاقته فربما انتصر وربما انهزم...

قال الله تعالى في سورة محمد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾[محمد]

وأعادها في سورة الحج: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)﴾ [الحج]

وقال في سورة الروم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)﴾[الروم]

وقال في سورة غافر: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51)﴾ [غافر]

بعث المقومس زعيم الروم رسلاً إلى جيش عمرو بن العاص فأبقاهم عمرو عنده يومين وليلتين اطلعوا خلالها على حياة جند المسلمين...لما عادت الرسل إلى المقوقس سألهم كيف رأيتم!!؟

فقالوا: رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد...إذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم....قال المقوقس: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها...

هؤلاء أحد الذين قال فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾ [محمد]

بعد معركة نهاوند وانتصار المسلمين فيها بقيادة النعمان بن مقرن المزني أرسل يزدجرد كسرى الفرس رسولاً يحمل هدايا إلى ملك الصين يطلب منه العون والنجدة.

قال ملك الصين لرسول كسرى: قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، ولكن صف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر عندكم.

فقال رسول يزدجرد: سلني عما أحببت.

قال ملك الصين: أيوفون بالعهد؟ قال الرسول: نعم.

قال ملك الصين: ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟

قال الرسول: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنابذة..

قال ملك الصين: فكيف طاعتهم أمراءهم!!؟ قال الرسول: أطوع قوم لمرشدهم.

قال ملك الصين: فما يحلون وما يحرمون...

فأخبره رسول يزدجرد -الآن هنا شاهد كبير- قال الملك أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم!!؟

الخمر حرام هل يحللونها هل يديرونها في أثناء جلساتهم وصفقاتهم التجارية!!؟

العلاقات مع النساء غير المحارم حرام، هل تشاهد شبابهم يقيمون هذه العلاقات والصداقات!!؟

الربا حرام، هل يحلون ما حرم الله تعالى عليهم!!؟ قنص أموال الناس حرام...قطيعة الرحم حرام....

ملك الصين يقول: أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم!!؟ قال رسول يزدجرد: لا...

قال الملك: فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحللوا حرامهم...

ثم كتب ملك الصين كتاباً إلى يزدجرد جاء فيه:

إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاربون الجبال لهدموها ولو خلي سربهم أزالوني ماداموا على ما وصف..فساكنهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك...

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾ [محمد]

لذلك جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: **إن كأسا وغانية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعل ألف مدفع..**

مادمنا نحلل الحلال ونحرم الحرام نحن ننتصر....ومادامت الموازين تضيع، يحرم أقوام ما أحل الله ويحل أقوام ما حرم الله، فإن الله عز وجل سيتركنا وسنعود إلى قوتنا وقدرتنا وطاقتنا وأعداؤنا سبقونا كثيراً بها لذلك سنغلب...

القانون الثالث: إن نصرت دين الله سينصرك الله، إن استجبنا لأوامر الله سيستجيب الله لدعائنا...حين نستقيم على شرع الله ستستقيم لنا الدنيا...

القانون الرابع والأخير من قوانين النصر: الإعداد المستطاع من القوة المادية والمعنوية:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ . . (60) ﴾ [الأنفال]

قال أحد العلماء:جاءت كلمة قوة مطلقة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. . (60) ﴾ [الأنفال] والإعلام قوة، والأقمار قوة، التقنية قوة، الصناعة قوة، الاكتفاء الذاتي الغذائي قوة، الثقافة قوة، العلم قوة، التعاون قوة، التنسيق قوة وهكذا...

وقد أمرنا الله برحمته أن نعد لهم القوة المتاحة لا القوة المكافئة قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. . (60) ﴾ [الأنفال] ولم يقل ما يناسبهم من قوة أو ما يماثلهم من قوة....

أيها الإخوة هذا ما قرأت من قوانين الله تعالى في النصر في آيات النصر والغلبة في القرآن الكريم:

القانون الأول: النصر ابتداء وانتهاء من عند الله تعالى. ﴿ ooمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ oo (126) ﴾ [آل عمران]

القانون الثاني: حين يقدر الله النصر لنا فلن تستطيع قوى الدنيا كلها أن تحول دونه. ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ oo(160) ﴾ [آل عمران]

القانون الثالث: إن الله تعالى ينصر من ينصر دينه ويستجيب لأوامره ويستقيم على نهيه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ oo (7) ﴾ [محمد]

القانون الرابع والأخير: الإعداد المستطاع من القوة المادية والمعنوية. ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . (60) ﴾ [الأنفال]

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله...